

## فلسفة القارئ في مقارنة الرواية التاريخية

## La philosophie du lecture d'aborder le roman historique

د/ بن ضيف زهية<sup>1</sup><sup>1</sup> جامعة لونيبي علي البليدة-2-الجزائر، bendifzakia7@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/19 تاريخ القبول: 2022/08/22 تاريخ النشر: 2022/10/08

## ملخص:

يهدف هذا العمل الى ضرورة الإشارة لكيفية العملية القرائية في حدود الرواية التاريخية، التي تتشكل أساسا على ثنائية مهمة في بناء النسيج النصي، ألا وهي (حقيقة/ تخيل)، على اعتبار أن القارئ هو المحرك الأساس لديناميكية المعنى في النص، وفق ما شكّله المؤلف من استراتيجيات في بناء عوالم نصه، ومن هذا المنطلق فإن لكل من القارئ والمؤلف فلسفته في هذه العملية التواصلية من خلال النص؛ على اعتبار أن المؤلف منتج أول لمعنى أولي يبني من خلاله قارئه، والقارئ منتج ثانٍ لمعنى جديد يخلق للنص روحا جديدة، و من أجل تبين استراتيجيات بناء النص، و كذا فلسفة قراءته، فقد تناول هذا البحث في شقه النظري، مجموعة من التنبؤات المعرفية التي عُنيت باستراتيجيات بناء المعنى وكذا آليات القراءة في عمومها.

كلمات مفتاحية: رواية تاريخية، تاريخ، فعل القراءة، القارئ، فلسفة القراءة

**Abstract:** Ce travail vise la nécessité d'indiquer la voie du processus de lecture dans les limites du roman historique, qui se forme principalement sur une dualité importante dans la construction du tissu textuel, à savoir (fait/fiction), étant donné que le lecteur est le principal moteur de la dynamique de sens dans le texte, selon ce que l'auteur a formé à partir des stratégies de construction des mondes de son texte. De ce point de vue, le

lecteur et l'auteur ont leur propre philosophie dans ce processus de communication à travers le texte; Considérant que l'auteur est un premier produit d'un sens premier à travers lequel il construit son lecteur, et que le lecteur est un second produit d'un nouveau sens qui crée un nouvel esprit pour le texte, et afin de clarifier la stratégie de construction du texte , ainsi que la philosophie de sa lecture, cette recherche a traité, dans sa partie théorique, d'un ensemble de théories cognitives que l'on entendait Stratégies de construction du sens, ainsi que des mécanismes de la lecture en général.

**Keywords:** roman historique, Acte de lecture, Philosophie de lecture, histoire.

#### المؤلف المرسل: بن ضيف زهية

مقدمة: إن التاريخ لطالما وقع محك التساؤل فيما إذا كان حقيقيا أم لا، هذا التساؤل الشائك الذي يطرق ذهن أي قارئ خلال تلقيه لنص ما، جعلنا نهتم بموضوع تلقي الرواية التاريخية، فيما إذا كانت تحتاج فلسفة يتبناها القارئ أثناء ممارسته لفعل القراءة، ذلك أن موضوعها تخيلي ينطلق من حدث تاريخي بحت، يعمل الروائي على إعادة صياغته، وفق ما يتناسب مع الصورة التي يريد أن يرسمها لدى القارئ، على اعتبار أن القارئ سيحتك بالنص بصفة مباشرة، يعيش من خلالها أحداث الرواية بوقائعها وشخصياتها وتواريخها وكل تفاصيلها على أنها حقيقية، لا نسبية فيها، إلا ما يعلمه مسبقا من نسبة حقيقتها بشكل أو بآخر، حيث يجعله ذلك يتساءل عن ماهية المقصدية التي أرادها الكاتب، من خلال إعادة رسم أفق جديدة لهاته الحقائق تاريخية عبر نصه الروائي، على اعتبار أنه (القارئ) يتعامل مع أحداث تاريخية مروية وفق مخطط نصي من صنيع الروائي، ومن هنا نطرح التساؤل الآتي كيف يبني النص قارئه؟ وكيف يواجه القارئ هذا النص؟

ثنائية المحك: نص تاريخي أم نص فني؟

لطالما كان التاريخ يشكل سرحا واسعا وجد فيه الروائي ضالته الفنية، إذ يمنحه هذا الأخير فضاءات متنوعة انطلاقا من شخصيات أو أحداث أو أماكن يستطيع من خلالها بناء عمله بما يتوافق ورؤيته للعالم. تنبني الرواية التاريخية أساسا على مجموعة من الأحداث التاريخية التي يعتمد عليها المؤلف في نسج عمله الفني، حيث أن التاريخ يكون بمثابة ذلك العمود الموضوعي الذي يؤطر سير الرواية ضمن حدود تاريخية حقيقية في قالب تخيلي، يعلن التاريخ من خلاله انبثاقه المتجدد والدائم للمسار الحضاري والثقافي للأمم وللشعوب، التي تحفظ وجودها واستمرارها ككيان ونظام حضاري في سياق إبداعي فني، إذ أن التاريخ والعمل الروائي يعبران في جوهرهما عن ماهية الإنسان حسب رأي جورج لوكاتش،<sup>1</sup> إذ يلتقي الروائي والمؤرخ في نقطة الاهتمام بالإنسان. حيث أن الروائي في هذا الصدد يعيد إحياء الماضي بلمسات عصرية، تركز على التطور الحاصل في كل المجالات التي يمكن أن تستقي منها الرواية مشاربها كعلم الاجتماع وعلم النفس و التاريخ، نظرا لارتباطها الوثيق بتكوين القاعدة الرؤية لفكر الكاتب، كما أن روح العصر تؤثر في كل من الكاتب والعمل معا، فيكون الإنتاج الإبداعي يزواج بين أصالة الماضي وروح العصر، فمهمة المؤلف هنا تتعدى كونه مبدع لنصوص فنية فقط، بل تتعداها للتحليل والتفسير والاستقصاء للوثائق التاريخية، بل وحتى استنطاقها من خلال دراسة جميع الجوانب المرافقة له حتى النفسية منها وفي هذا الصدد يقول فيصل دراج "مشروع غريب ينافس فيه الروائي عالم الاجتماع ويصحح بعض معارف المؤرخ ويتعلم من عالم النفس

---

<sup>1</sup> سليمة، عداوري، 2006/2005، الرواية والتاريخ بحث في العلاقات النصية، رواية العلامة لبينسالم حميش أنموذجا، مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، ص 11.

### د/ بن ضيف زهية

ويَعْلَمه ثم يقف فوق الجميع خالقا، لا يحاكي أحدا"<sup>2</sup> وهذا يفصل الروائي في قضايا التاريخ بأحكامه التي افترضها ونصّها في قانونه المسير لمجريات الأحداث، لا كما أراد لها الواقع أن تكون.

إن الحقائق التاريخية التي تتراقص على أنغام الإبداع الفني، تلك الثنائية (تاريخ/فن) التي يزاوج فيها الروائي التاريخ بالفن، تضعنا أمام نسيج نصي يتطلب من القارئ استحضار ترسانته ومكتسباته المعرفية التي تهيئه للدخول في عوالم النص، وسبر أغواره، ففنية العمل الإبداعي لا تنفي عن العمل مساراته الخارج نصية التي تتطلب زاد معرفي مسبق لدى القارئ، وفي ضوء هذه الترسانة المعرفية تتم العملية الكيميائية بين النص والقارئ لترسم آفاقاً وعوالم أنطولوجية؛ لم يسبق لها وجود فعلي قبل لحظة الالتقاء بالنص، لكنها وليدة هذا التماس التفاعلي، بين العوالم النصية وعوالم القارئ، وعليه فإن المعاني الكامنة في الوجود النصي، لا يمكنها أن تنفجر للوجود الفعلي لولا هذا التصادم بين هاته العوالم المتفاوتة، فالقارئ الذي لا يعي ولا يعرف مسبقا حقيقة الوقائع التاريخية قبل ولوجها للعالم الروائي، لا يمكنه البتة أن ينتج لنا قراءة أكثر جدية، تكشف لنا فنية هذا العمل وتسلط الضوء على الجوانب الإبداعية في النص، لأن قارئاً لم يتصدى للنص بما يجب من معارف قبلية، يعتبر أن ما ينتجه من القراءة لن يتعدى نطاق النص الروائي ولن يخرج عليه، بل سيظل حبيسه إلا إذا قرأ التاريخ قبل قراءة الرواية، أو أنه يقرأ التاريخ بموازاة الرواية .

ولقد فتحت الرواية أبوابها للتاريخ، كمجال يتسم بالانفتاح والتحرر من دائرة القوالب التي تتسم بالعلمية البحتة والمنهجية الدقيقة، لأن التاريخ لطالما كان مرنا حتى في أيادي المؤرخين أنفسهم دون الحديث عن المناهج العلمية التي

---

<sup>2</sup> فيصل، دراج ، 2004م، الرواية وتأويل التاريخ ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 17.

### فلسفة القارئ في مقارنة الرواية التاريخية

تبنّوها في تدوينهم للتاريخ، وفي هذا يقول وليام جوفنس "بأن التاريخ لا يمكن أن يكون علماً لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية للمعاينة والمشاهدة والفحص والاختبار والتجربة كما يحدث في العلم الطبيعي، وبذلك لا يمكن استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة من دراسته على نحو ما هو موجود بالنسبة للعلوم الطبيعية"<sup>3</sup> وبهذا تنفى صفة العلمية البحتة في دراسة المادة التاريخية نظراً لما تتميز به من نسبية وعدم الثبات واليقينية فيها.

وبما أن بعض حقائق التاريخ ذاتها قد شكلت لدى الشعوب نوعاً من الاستفهام، أو عدم الوضوح والدقة بشكل ما، فإنها ظلت عالقة تحتاج للإيضاح والتفسير، وفي مقابل هذا ظل الإنسان يتساءل عن ماهية حقيقتها، وما مدى مصداقيتها، حتى ولو كانت في جانب من جوانبها مرضية لهذا الانتماء الكياني والحضاري الممزق، ولأن سلطة السؤال عند الإنسان عن مساره الوجودي ضمن هذا الوجود الكلي، تفرض عليه اجابات من التاريخ لا ترضيه أحياناً، أو لا تتوافق وقناعاته، فتجده يبحث عن تاريخ مغاير وجديد حتى ولو كان وهمياً في صفحات الابداع الأدبي، لأحداث ظلت عالقة وأماكن وشخصيات تاريخية ظلت مبتورة لحد الآن، خلفت وراءها علامات استفهامية كبيرة، لم يجد لها التاريخ مبررات أو تفسيرات، أو من جهة أخرى تغاضى عنها وتخطاها؛ ليرمي بها في طيات النسيان والمجهول، فالروائي من هذه الناحية يروي التاريخ أو بعض منه وينسج النص الناقل له، ليملى الفراغات عبر متخيل تاريخي، فالرواية التاريخية قد تصنع لنا انتصارات، وتعيد انتاج ذواتنا، حيث نجد الاجابات عن أسئلتنا وهمومنا التاريخية إن صحّ التعبير، ومن جانب آخر تسلط الضوء على كبوات وأخطاء الماضي غير المعلنة، لأسباب سياسية أو دينية أو حضارية... فتحكي لنا ما أخفاه التاريخ من سقطتنا وأخطائنا، مثل ما حدث في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد

---

<sup>3</sup> عاصم، الدسوقي، 1991م، البحث في التاريخ-قضايا المنهج والإشكالات-، دار الجيل، لبنان، بيروت، ص07.

#### د/ بن ضيف زهية

لواسني الأعرج<sup>4</sup> التي، فتحت الأبواب على ظواهر إنسانية تاريخية غير معلن عنها في كتب التاريخ الجزائري الفرنسي، خاصة فيما يتعلق بعلاقات الأمير عبد القادر بأهله أولاً وصرامته مع والده وابنه في الجانب المتعلق بالحكم والتسيير، وفي علاقته الإنسانية المليئة بالتفهم والعاطفة مع جنوده ومناصريه، وفي علاقته الإنسانية في أوج مثاليتها مع الآخر الكولونيالي والمتمثل في شخصية القس مونسينيور ديبوش الذي ربطته به علاقة إنسانية قوية كسرت كل حواجز الكراهية والعدائية، والنفي، وحتى أنها من جانب آخر سلطت الضوء على قضية حوارية الأديان بين الإسلام والمسيحية، وكذا الانسجام والترابط بين هاتين الأديان السماوية في سماحتها وفي مرونتها لنشر فن التقبل المشروط في كل الديانات، لكل البشر باختلاف توجهاتهم الدينية والأيديولوجية، مادامت لا تمس الآخرين، كما سلطت الضوء على قضية الخيانة العسكرية التي تعرض لها الأمير لم يورد ذكرها في وثائق التاريخ بشكل مباشر نظراً لعدم ثبوتها تاريخياً، والتي واجهت الأمير عبد القادر في رحلة كفاحه، حيث تسببت بحبسه في سجن امبواز بفرنسا، فالتقنية التي استعان بها الروائي واسني الأعرج هنا هي استنطاق لتفصيصة صغيرة جداً، في حدث تاريخي، وهو لحظة خروج الأمير من امبواز للقاء الامبراطور نابليون الثالث بدون قائده الأول وصهره ابن التهامي، نتج عن هذا الاستنطاق متخييل لهاته المحاورة المهمة والحساسة بين الأمير والقائد العسكري الأول لديه ابن التهامي حيث صارحه الأمير بصفة مباشرة بحقيقة خيانتة للميثاق الذي تم الاتفاق عليه حين ترك الأمير السجناء الفرنسيون في أمانته في الحدود المغربية، حيث أوصاه بعدم قتلهم مهما حدث لأن الأمير كان قد وعد الإمبراطور نابليون الثالث بعدم قتلهم، لكن القائد ابن التهامي خالف أوامر الأمير و قتلهم مما تسبب بسجن الأمير في فرنسا.

---

<sup>4</sup> واسني، الأعرج، 2005م، رواية كتاب -الأمير مسالك أبواب الحديد-، منشورات دار الآداب.

## فلسفة القارئ في مقارنة الرواية التاريخية

والجدير بالذكر أيضا رواية أنا وحايم<sup>5</sup> للروائي الجزائري الحبيب السائح، الذي أعاد قراءة التاريخ الجزائري، إذ تطرق من خلال نصه لجانب مظلّم من التاريخ الجزائري أو المسكوت عنه باسم المثالية الثورية، ألا وهي الصورة التي أصبحت عليها الجزائر بعد الاستقلال والانقسامات التي حدثت بين رجال وأحزاب الثورة الذين جمعهم في البداية قضية استعمار الوطن، وفرقتهم الحرية على مركب الطمع والتسلط، تلك الخيبة التي أصابت الشعب ولم يجرأ أن يصرح بها، غيرت مسار الدولة والشعب، غير هذا فقد دارت مجريات الرواية على تمثيل صورة التعايش الانساني والديني والفكري تحت راية الوطنية، هذا التجسيد لقضية التعايش تمثل في علاقة صداقة قوية بين ارسلان الشخصية الجزائرية وحايم الشخصية اليهودية إذ تشغلها نفس الهموم والمعاناة، كما تربطهما ذات المبادئ والدوافع كمواطنين، حيث كانت شخصية نضالية متمسكة بالوطنية والانتمائية، إذ ساهم حاييم في مساندة الثورة كبقية الجزائريين، اندرج تحت هذا المحور قضية الهويات المختلفة في تاريخ الجزائر وعلاقتها بالمكون الوطني، لتعكس صورة من صور التعايش بين اليهود والجزائريين إبان الاستعمار الفرنسي.

وعلى هذا النحو يمكن القول بأن الرواية تقول ما لم يقله التاريخ، ذلك أنها أحيانا تفصح عن حقائق لم يتطرق لها التاريخ، حيث يمكن تعريف الرواية التاريخية بأنها عبارة عن سرد للذات الضائعة أو المتخفية، حيث تزيج الستار لا عن بعض التاريخ كحدث وفقط، وإنما تطرق الباب الإنساني في التاريخ، يقول فيصل دراج "الروائي يسائل في تاريخه الوطني المخدول انتصار التاريخ الذي هزمه، بقدر ما يحاور "مؤرخا" صامتا يقول ما ملأ عليه الواقع المقيد أن يقوله لا أكثر"<sup>6</sup> ثم يضيف "استدعى الروائي العربي المؤرخ وطرده لكثير من سبب: فالمؤرخ يقول

---

<sup>5</sup> الحبيب، السائح، 2018م، أنا وحايم، منشورات ميم الجزائر، مسكلياني تونس.

<sup>6</sup> فيصل، دراج، 2004م، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص05.

### د/ بن ضيف زهية

قولاً سلطويًا نافعا ولا يتقصى الصحيح يهمل تاريخ المستضعفين ويوغل في التهميش الى تخوم التزوير واعداد الحقيقة... ولهذا يقوم الروائي العربي بتصحيح ما جاء به المؤرخ وبذكر ما امتنع عن قوله"<sup>7</sup>، فهذا النوع الروائي يضمن استمرار روافد الهوية الجمعية المكونة للذاكرة المعاصرة والمستقبلية، فهي وجهان لعملة واحدة هي الإنسان بشقي انتصاراته وعلياته وفي المقابل خيباته وانزلاقاته.

### **فلسفة القراءة واستراتيجيات بناء المعنى:**

مما لا شك فيه أنه لا يمكن الحديث عن المعنى دون الحديث عن قطبا النص والقارئ معاً، فلا يمكن القول مطلقاً أن المعنى قد انحصرين أحرف النص وفقط، كما لا يمكن القول أنه من صنيع القارئ وكفى، بل إنه امتداداً بينهما عبر جسري النص و التخيّل (القارئ) "كون أحدهما يركب الرسالة ويقوم بإرسالها، والآخر يتلقاها، ويقوم بفك شفراتها وإعادة بنائها بصورة عالم متخيل، مع ما يترتب على ذلك من تفعيل لدلالاتها النصية"<sup>8</sup>

يتعامل القارئ دوماً بنوع من الخصوصية مع الرواية التاريخية ذلك لأنه يتعامل مع نص يحاكي بشاكلة ما حقائق معدلة فنيا ضمن ما يسمى بالتخييل، يجد فيها وقائع جديدة وغير مسبقة فعلياً، عليه أن يتمحص الحقيقي من التخيلي فيها، حيث يعتبر التناص الهيكل العام في هندسة الرواية، إذ تنناص الرواية مع نص تاريخي مسبق، قد يكون معروف لدى القارئ كما قد يكون مجهول، يجعل منه يخوض غمار الرواية بمنطلق ارجاعي يحيله بالضرورة إلى ما أخذ منه العالم السردى" حيث يتم تدمير النصوص الروافد أو تعويمها لصالح

<sup>7</sup> فيصل، دراج ، 2004م، الرواية وتأويل التاريخ، ص06.

<sup>8</sup> عبدالله ابراهيم، 2005م، التلقي والسياقات الثقافية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2، ص12.

### فلسفة القارئ في مقاربة الرواية التاريخية

مرجعية النص المتكون او النص البؤرة"<sup>9</sup> ، وعليه فلا يمكن قراءة الرواية التاريخية دون علم القارئ بمنطلق هاته الرواية وما استندت عليه، ومما استمدت عالمها بأحداثه وقائعه وشخصياته، حيث لزم إقامة علاقة بين النص الروائي والنص التاريخي المستوحى منه، وإلا فلا يمكن التعامل مع النص بطريقة صحيحة وواضحة دون إدراك العلاقة بينهما. ( النقطة المركز لمجموع المعاني ) .

يُحْمَلُ الكاتب لغة النص بمجموع المعاني التي أرادها أن تصل إلى قارئه من خلال اتباعه مجموعة من الاليات السردية التي تمرر رؤاه، كما يُشغَلُ القارئ مخزونه الثقافي والمعرفي أثناء فعل القراءة لفكّ شيفرات النص "فلا براءة ولا حياد إذن في كل من الكتابة والقراءة...وحين تتحرك آلية القراءة ينشأ حوار خاص بين الأفقيين قد يتسم بالتوتر والتجاذب..."<sup>10</sup>. يقوم النص بتحفيز القارئ على عملية التخيل عن طريق مجموع الرسائل التحفيزية أو المؤشرات التي ترشده فقط على ايجاد الطريق إلى المعاني والغايات التي يروم إليها النص، عبر محطات كبرى وتفاصيل صغرى تتجلى في البنى السردية، بصورة يشوبها بعض الغموض وعدم الوضوح حتى لا يقع النص في مأزق الوضوح والتجلي الذي يُفقد النص صفة اللاتماثل أو اللاتحديد حسب انجاردن "فهو يقول: رغم أنه من حيث المبدأ فإن الموضوع القصدي لا نهاية له وغير قابل لأن يكون منتهيا، فيجب عليه أن يحاكي التحديد الفردي. إن هدف المحاكاة هذا يتحقق من خلال إزالة اللاتحديدات وملئها في نفس الوقت لأن هذه اللاتحديدات هي التي تعين انفتاح

---

<sup>9</sup> محمد، خرماش، خريف 2006، سيميولوجيا القراءة واشكاليات التأويل، مجلة سيميائيات، (العدد 02) ص82 .

<sup>10</sup> هانس روبرت، ياكوس ، جمالية التلقي-من أجل تأويل جديد للنص الأدبي-، ترجمة: بن حدورشيد، المركز القومي للترجمة، ص11

### د/ بن ضيف زهية

الموضوع القصدي"<sup>11</sup>، الذي يُعتبر شرط التفاعل بين النص والقارئ، ولكي يسافر القارئ عبر محطات النص فيتجاوب إيجابيا يتفاعل ويُفعل، فعلى النص أن لا يودع المعنى على طبق من ذهب أمام القارئ، بل عليه أن يرسم المتاهة دون أن يضع أسهم الوصول إلى الهدف مباشرة، وإنما عليه أن يترك للقارئ مساحة من المعيشة والتوقع يتم من خلالها إعادة بناء النص المعطى، وبالتالي إعادة بناء المعنى "إن الشيء المفقود في المشاهد التي تبدو تافهة ثم الفراغات التي تنبثق من الحوار، هو ما يحث القارئ على ملء البياضات بواسطة الإسقاطات. حيث يُجذب القارئ داخل الأحداث ويلزم بإضافة ما يُلْمح إليه فيها من معنى من خلال ما لم يذكر. وما يُذكر لا يتخذ دلالة إلا كمرجع لما لم يذكر؛ إن المعاني الضمنية وليس التصريحات هي التي تعطي شكلا ووزنا للمعنى"<sup>12</sup>

إن الكاتب بحاجة لكسب ثقة القارئ من خلال عقد يمضيه مع قارئه، في شكل تواصل نصي، وكذا القارئ فهو في حاجة دائمة إلى هذا الميثاق التواصلية على المستوى المعرفي والجمالي الذي يضمن توافرا تبادليا، المؤلف من خلال نصوصه والقارئ من خلاله فلسفته النقدية، التي تجدد روح النص في كل قراءة نقدية. ومن جهة أخرى فإن القارئ لطالما كانت لديه رغبة ملحّة في الالتقاء بالماضي، بصورة فنية أكثر مرونة و انسيابية، فكانت الرواية هي مناطه ووجهته دون غيرها.

### **فعل القراءة وتجلي المعنى (تماثل الصورة ولا تماثل المعنى):**

لا يمكننا الحديث عن المعنى وتمثله في النص، دون أن نتطرق للصورة وتماثلها لدى ذهن القارئ عبر كيانات داخل نصية Intra-textuelles تصنع

---

<sup>11</sup> فولفغانغ ايزر، ترجمة: حميد لحمداني والجلالي كدية، فعل القراءة-نظرية جمالية التجاوب في الأدب،

مكتبة المناهل، فاس، المغرب، ص 109، 108.

<sup>12</sup> فولفغانغ ايزر، فعل القراءة-نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ت:حميد لحمداني، الجلالي كدية، مكتبة المناهل، فاس، ص 100.

### فلسفة القارئ في مقاربة الرواية التاريخية

الحدث التفاعلي، حيث يُكوّن النص الروائي التاريخي لدى القارئ مجموعة من الصور الذهنية التي تجتمع لتشكّل الحدث النصي عبر تماثل صوري (images) يجعل القارئ ينغمس في الحدث بزمايته ومكانيته الروائية عبر التخيل، فهناك تماثل جزئي مادي متعارف عليه بين النص والقارئ عبر الصور الذهنية ساعة حضورها لدى القارئ، كأن يصف الكاتب شيء مادي من مثل: ( سرير أو مائدة، ملابس...)، أو مكاني (كغرفة، حديقة، مسرح، مستشفى...)، وهناك صورة ذهنية لامادية ليس لها وجودها الواقعي الفعلي إلا في بنية النص و في ذهنية المتلقي لحظه التقائه به أي واقعية رمزية حسب ايزر "إن واقعاً لا يكون له وجود خاص به، لا يمكنه أن يبرز للوجود إلا بواسطة التصور، وبالتالي تحدث بنية النص متتالية من الصور الذهنية تقود الى النص وهو يترجم نفسه داخل وعي القارئ"<sup>13</sup> هاته التشكيلة من المتتاليات الصورية المادية واللامادية هي التي بدورها تقوم بتولي مهمة التوضيح والكشف عن محطات عالم النص، لتجمعه في كلية مترابطة ومنسجمة، من ناحيتها الشكلية والفنية، لكنها في نهاية المطاف يجب أن لا تخل بمبدأ اللاتماثل بمفهومه الآيزري الذي يروم إلى تحقيق المفهوم العميق لشرط التفاعل الذي يضمن بدوره نجاح صيرورة فعل القراءة، كما يضمن للقارئ فرصة وجوده، حيث لا يُلغى ويبقى على رصيف النص كمتفرج لا يقدم ولا يؤخر شيء " فالسننُ التي يمكنها تنظيم هذا التفاعل توجد مجزأة داخل النص، ويجب أولاً تجميعها أو في أغلب الأحيان إعادة بنيتها"<sup>14</sup>

فمن خلال التفاعل الإيجابي بين القارئ والنص يبني المعنى نتيجة لقراءة فاعلة تحرك أوتار المرجعيات والخلفيات الفكرية؛ وكذا التجارب القبلية

<sup>13</sup> فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص 35.

<sup>14</sup> فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص 98.

### د/ بن ضيف زهية

لدى المتلقي لتتقاطع مع الرؤى النصية لتشكّل لديه نتائج جديدة غير مسبقة، أو أن تدعم أو تهدم ما قد تشكّل في ذهنه مسبقاً.

فالعلاقة ليست انعكاس مباشر للنص في مرآة قارئه، أو الاندماج اللامتناهي معه، وإنما هي مراحل من السفر والترحال عبر مجموع هاته الطرق الوعرة والملتوية للرؤى النصية، حتى يصل القارئ فيها خلال مرحلة من المراحل إلى التماهي أو الإقصاء، ويعتبر آيزر أن أهمية العملية التواصلية التي تبني القاعدة الأساسية للفهم لا تكمن فقط في النص، وإنما في حضور القارئ في ساحة النص واندماجه معه، على اعتبار أن النص تتخلله الفراغات والبياض. "ومن ثمة فلا سبيل لإستخلاص المعنى إلا كصورة ، وتقدم الصورة الحشو لما بناه النمط النصي دون أن ينص عليه ويمثل هذا الحشو شرطاً أساسياً للتواصل"<sup>15</sup>

ومما لا شك فيه أن اللاتماثل بين النص والقارئ شرط اجباري للتفاعل حسب آيزر "فالمهم بالنسبة لنا هو كون اللامتوقع عنصراً تكوينياً ومميّزاً في نفس الآن ضمن عملية التفاعل هذه"<sup>16</sup>.

فالقارئ لديه القدرة على بناء المعنى نظراً لما يكتسبه من خلفيات معرفية وفكرية وايدولوجية، على اعتبار أنه ليس صفحة بيضاء، تستقبل عوالم النص دون أن تخضعها للعوالم المرجعية التي تستند إليها في تشغيل دلالات النص، بل أنه يُقدم على عملية القراءة بما لديه من خبرات وخلفيات مسبقة؛ تقوده عبر العملية التأويلية لاستنباط أكثر المعاني وضوحاً والأكثرها قرباً لعوالمه، وبالتالي فإن الاستراتيجيات المهمة برد الفعل القرائي بطبيعة الحال؛ لا بد أن تعكس المفهوم المتطور لعملية القراءة بوجه عام ولعملية التواصل بصفة خاصة.

---

<sup>15</sup> فعل القراءة ، نظرية في الاستجابة الجمالية، فولفجانج إسر، ت:عبدالوهاب علوب. المشروع القومي للترجمة.

<sup>16</sup> فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب، ت:حميد لحداني، الجلال كدية، مكتبة

المناهل، فاس، ص94

### فلسفة القارئ في مقارنة الرواية التاريخية

إن المحاولات التي بذلت في تقديم مسألة الفعل القرائي بشكل أكثر تطوراً، يمكن أن نلخصها في أنها كرّست معظم اهتمامها من أجل جعل القارئ ينخرط بنشاط وإيجابية في عمليات الفهم والتأويل، حيث ركزت على أن يكون للقارئ دور إيجابي وفَعّال خلال عملية القراءة ليتحول من كونه متلقياً إلى كونه فاعلاً وإيجابياً، حيث يعمل على بناء المعنى من خلال الانخراط بشكل تشاركي في التعامل مع النص، إيماناً بأن المعنى لا يظهر للوجود إلّا في إطار تواصل بين ما يروم إليه النص وما يتشكل لدى القارئ، على اعتبار أن النص ملك لمؤلفه لكن المعنى في شكله المطلق هو ملك إلا للقارئ، وبين هذا وذاك يأخذ النص شكل قفل لحلقات من المعاني المترابطة يجمعها نص واحد.

#### خاتمة:

القراءة الروائية للتاريخ تنطلق من مبادئ رؤيوية لدى الكاتب يؤسس من خلالها لإنبثاق جديد للتاريخ وفق ما أراد أن يوصله لقارئه، معتمدا استراتيجيات بنائية لنصه الروائي تطلعنا على قراءته وتفسيره للتاريخ الذي تناوله، كما أن هذه القراءة للمدونة الجديدة للتاريخ لا يمكنها أن تُقرأ قراءة نقدية جادة إلا إذ توفرت لدى القارئ كمّات من المعارف المسبقة، التي من شأنها أن تمهد لعملية تمحيص فنية هذا المنجز الروائي، ورسم معالم تأويله التي تثمر نتائج نقدية أكثر جدية.